آفاق فكرية

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507

ص . ص 03 – 15

مراكز الحضارة في السودان الغربي

Centers of civilization in Western Sudan

زينب التومي [1] TOUMI Zaineb

- المركز الجامعي تمنراست Toumi356@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2018/05/18 تاريخ القبول: 2019/11/18 تاريخ النشر: 2020/06/28

الملخص: تناولت الدراسة مراكز الحضارة الإسلامية الكبرى في السودان الغربي غاو وجينّي ثاني وثالث الحواضر بعد تنبكتو من حيث التطور الحضاري الثقافي والاقتصادي، كما تناولت تكدا و ولاتة كنموذج عن المراكز الحضارية الصغرى ،و يعود ظهورها كنتيجة لازدهار التجارة التي كانت إحدى وسائل انتشار الإسلام والذي بدت تأثيراته جلية في الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية في تلك المدن، ومع نشأة المدن واحتكاكها بالجوار الإسلامي تشكلت ممالك في غرب إفريقيا، وحققت وحدة وطنية لاسيما في فترة حكم الأسيقيون التي دامت حوالي قرن من الزمان1493م/1591م، ومع نهاية القرن السادس عشر،كان سقوط هذه المدن تحت الحكم المغربي إيذانا بدخولها في دور الانحطاط. قسمت الدراسة إلى محورين تناول المحور الأول الحواضر الكبرى غاو وجينّي وحاول كشف الغموض حول نشأتها ومراحل تطورها أهم الأحداث التاريخية التي عرفتها منذ تأسيسها إلى نهاية القرن السادس عشر ميلادي، كما تناول المحور الثاني المدن الصغرى تكدا وولاتة وتتبعت الدراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المدينتين خلال القرن الربع عشر والخامس عشر.

الكلمات المفتاحية: مراكز الحضارة، غرب إفريقيا، المدن الإسلامية، غاو، جني

Abstract : The study dealt with the centers of the great Islamic civilization in the western Sudan Gao the second and third Jenny after Timbuktu in terms of cultural and economic development of civilization, and dealt with as a model of small cultural centers, and the emergence of the result of the prosperity of trade, which was one of the means of spreading Islam, The influence of Islam are obvious In the economic, cultural and social aspects of these cities, and achieved national unity , and by the end of the sixteenth century, The fall of these cities under Moroccan rule was marked by the entry into the role of decay. The study was divided into two sections .The first dealt with Greater cities Gao and Jenny and tried to uncover the ambiguity about its origin and stages of development. The most important historical events since its establishment until the end of the sixteenth century. The second dealt with the smaller towns of Takda and Walata. The study followed the economic and social life in the two cities during the14th and 15th century.

Key words: centers of civilization, West Africa, Islamic cities, Gao, Genie

[1] المؤلف المرسل: زينب التومي، الإيميل: Toumi356@gmail.com

مقدمة :

نشأت بغربي إفريقيا عدد من الممالك الإسلامية وقد كان الإسلام عمادها الروحي واللغة العربية أداتها في الإدارة والثقافة والتجارة وذلك منذ استقرار الإسلام في القرن التاسع الميلادي بهذا الجزء، بدأت تظهر تأثيراته في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، ومع ازدهار التجارة ظهرت المدن والحواضر، وكانت غاو إحدى عواصم ممالك غرب إفريقيا وهي مملكة السنغاي التي تخطت بحق النظام القبلي، وأصبحت غاو عاصمة غرب إفريقيا بأسرها وتضاعفت أهميتها في عهد الأساقي، كذلك جينيّ التي اشتهرت بتجارة الذهب عرفت حواضر غرب إفريقيا ازدهار فكري وتواصل حضاري مع حواضر المشرق الإسلامي ودول المغرب، وتشترك في ثقافات وأعراف واحدة، وفيها معالم حضارية، ومرت مراحل تطورها بعدة مراحل، وإلى جانب هذه المراكز الكبرى توجد مراكز أخرى صغيرة ولا تختلف الحياة فيها عن المدن الكبرى ، كذلك تستمد نشاطها من المدن الكبرى.

غاو:

اولا : غاو:

رسمت غاو في كتب السودان المحلية "كاغ" [1] فيقول كعت:" وفي اسم كاغ لغتان كاغ وكوكو"[2] . أما في كتب الجغرافيين والرحالة العرب فقد جاءت بصور عدة فرسمها اليعقوبي بلفظ كوكو فقال:" ثم مملكة الكوكو وهي أعظم ممالك السودان وأجلها قدراً وأعظمها أمراً ودون هذا عدة ممالك يعطونه الطاعة، و الكوكو اسم المدينة" [3]، وذكرها المسعودي أيضا باسم "كوكو" [4]، كذلك وردت بنفس الرسم عند العمري [5]، وأبن بطوطة يقول:"إنها مدينة كوكو مدينة كبيرة على النيل [6].

وكثير ما يقع خلط بينها وبين مدينة كوكيا عاصمة السنغاي القديمة، فنجد الإدريسي فصل بين الاسمين كوغة وكوكو، وهما اسمان لمدينة واحدة فيقول:" ومن المدن المشهورة مدينة كوغة و كوكو [7] وقال أيضا:" ومن كوغة إلى مدينة كوكو في الشمال 20 مرحلة بسير الجمال" [8]، المرحلة 6 أو7 فراسخ، حسب ما يذكر المقدسي حيث قال:"وقد جعلنا المراحل ستتو فراسخ وسبعة" [9]والفرسخ 3أميال والميل 2كلم [10]، ويعني 20مرحلة تقريبا750كلم. وضبط القلقشندي اسمها فقال: "كوكو بفتح الكاف وسكون الواو وفتح الكاف الثانية وسكون الواو بعدها: "مدينة كَوْكَوْ" [11]، وذكرها الوزان برسم "كاغو " مدينة عظيمة غير مسورة بنحو أربعمائة ميل عن تنبكتو إلى جهة الجنوب الشرقي" [12].

اختلاف لفظ كاغ و كاغوا يعود إلى اختلاف لهجات ولغات أهل السودان في غرب إفريقيا ارتبط اسم كوكو بمدينة غاو انبثق من اسم موطن شعب السونغاي الأول قبل أن يتخذوا من غاو عاصمة لهم في بداية القرن الخامس الهجري ،الحادي عشر الميلادي وهي كوكيا التي تقع على نهر النيجر على بعد 120كلم، إلى جنوب غاو [13]. وعندما تحدث اليعقوبي عن مملكة كوكو وقاعدتها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، القرن التاسع ميلادي كانت في ذلك الوقت كوكيا لأن السونغاي في ذلك الوقت لم يتخذوا غاو عاصمة لمملكتهم [14] .

✓ الموقع:

تقع مدينة غاو من ضمن إقليم السودان الغربي وتقع تحديدا من الجهة الشرقية على ثنية نهر النيجر يذكر القلقشندي: "وكَوْكَوْ شرقي النهر" [15]. ويذكرها أبن بطوطة ويقول: "مدينة كوكو مدينة كبيرة على النيل من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها [16].

تحيط بمدينة غاو أشهر وأكبر مدن السودان الغربي وتبعد عن تنمبكتو بنحو أربعمائة ميل إلى جهة الجنوب الشرقي، وهي مدينة عظيمة غير مسورة [17]، ويصف الوزان عمران ومباني المدينة: "دورها قبيحة على العموم إلا البعض منها جميل جدا حيث يسكن الملك وحاشيته، ويتحدث عن اقتصادها وسكانها تجار أغنياء، يتجولون دائما بسلعهم ويأتي إليها عدد لا يحصى من السود حاملين معهم كمية وافرة من الذهب ليشتروا أشياء مستوردة من بلاد البربر وأوروبا والمدينة متحضرة بالنسبة لتمبكتو" [18].

✓ نشأة غاو ومراحل تطورها:

لا يزال الغموض حول التاريخ الحقيقي لنشأة مدينة غاو ،و تشير رواية تاريخية أن تاريخ تأسيسها كان على أكتاف قبائل "السوركو"،SORKO، وهم من الشعوب السودانية صيادو الأسماك وقد يكونوا هاجروا من شرق تشاد، اضطرت قبائل السوركو إلى الهجرة من كوكيا والإقامة في مكان أصبح يعرف ب غاو وذلك بعد هجرة مجموعة من البربر يعود أصلها إلى قبائل لمطة إلى كوكيا وفرضت نفسها على تلك القبائل ،لكن فلول البربر تبعتهم وفي 1010م، استطاع "ضياء كوسي" أن يستولي على "غاو" و يستخلصها من شعوب السوركو [19] وهو أحد أفراد عائلة آل ضياء التي حكمت سنغاي وهي أول أسرة حاكمة تحدثت عنها المصادر التاريخية.

يذكر السعدي اسم ضياء، ب" زا " ويقول بأن الكلمة محرفة في الأصل هي جاء العربية وحرفت حيث تعسر نطقها على أهل سنغاي عندما قالوا مؤسس العائلة جاء من اليمن فيقول: "أما الملك الأول

زا الأيمن أصل اللفظ جاء من اليمن.....وبقوا لا يقولون إلا زا ...فغيروا اللفظ لتعسر النطق به لسانهم لأجل ثقله من العجمة" [20]، ويرى أن المراجع الأجنبية حولتها إلي ديا DIA، ولما نقل بعض المؤرخين العرب هذا الاسم من مراجع أجنبية وباجتهادهم حولوه إلى ضياء،) [21] ويتحدث السعدي عن اعتناق ملك السنغاي ضياء كوسي للإسلام ويقول:" وما آمن احدهم بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، زاكُسُيْ، يقال له في كلامهم مسلم دَمْ معناه اسلم طوعا بلا إكراه وذلك في أربعمائة من هجرة الرسول" [22] اسلم هذا الملك في400 ه/1009م، فهو الذي نقل عاصمة سنغاي من كوكيا إلى غاو [23].

وفي عهد مملكة مالي خضعت سنغاي لسيطرة دولة مالي في عهد منسا علي 653ه-669ه/1255م،- 1270م.إلا أن غاو العاصمة امتنعت على جيوش مالي [24]. واستطاع ساكورة الذي أغتصب عرش مالي 684ه- 700ه/1285م- 1300م.من إعادة إخضاع سنغاي مرة ثانية وفي هذه الفترة استولى على عاصمتها غاو، يذكر ابن خلدون اسم الملك بحرف الصاد يقول:"صاكورة وكان تغلب على ملكهم، وهو الذي افتتح مدينة كوكو". [25] أما القلقشندي فيذكره ويقول:" ثم تغلب على الملك مولى من مواليهم اسمه ساكبورة ويقال سيكرة،.....وفتح بلاد كوكو [26]. وفي مرة تالية أعاد سقمنجة قائد منسا موسى فتح غاو سنة725ه- 1325م، ويتحدث السعدي عن ذلك:"بعد جوازه إلى الحج وبطريقها رجع فابتنى مسجدا ومحرابا خارج مدينة كاغ" [27]. يشير السعدي إلى منسا موسى واعتبره أول الملوك الذي ملكها.

لا شك أن أهمية مدينة غاو ازدادت وتضاعفت في عهد الاسقيين حيث تحولت إلى العاصمة السياسية فيذكر كعت أن غاو عرفت تطورا وكانت كثيرة السكان "كاغ بعظمتها وكثرة سكانها " [28] وبلغ عدد السكان بها خمسة وسبعين ألف بينما تمبكتو قدر عدد سكانها ثلاثون ألف فقط، وكان سكانها من التجار ورجال الدولة بينما الأساتذة وطلبة العلم بعدد أقل، كما سيطرت على طرق التجارة وأصبحت مقصد القوافل التجارية القادمة من بلاد الهوسا [29]. يتضح أهمية غاو الاقتصادية وذلك لكونها عاصمة الإمبراطورية وعاصمة ثقافية بدرجة أقل.

وفي أواخر القرن السادس عشر دخلت غاو في دور الانحطاط، حيث كان وصول حملة أحمد المنصور السعدي 1592م،1593م، وأدى سقوط غاو إلى نتائج سياسية واقتصادية فقد انحطت التجارة بسبب الحروب [30].

ثانيا / جنيّ:

تعرف بعدة أسماء يسميها أهلها جنىٍّ وسماها التجار الأفارقة كْناوة، ويسميها البرتغاليون وبعض أهل الخبرة من أوربا غينيا ويقصدون جيني كما يكتبها السودانيون [31].

يرى بعض الباحثين أن أصل الاسم عربي خاصة إذا عرفنا أن كلمة جنّي في اللغة العربية معنى الحصاد والثراء والكسب نظرا لما كان يجنى منها من الأرباح التجارية وربما كان الاسم من غني لأنها كانت غنية بالذهب أو ربما أتى من الاسم العربي "الجن _الجان" نظرا لما اشتهرت به من وجود السحر والسحرة، ويعتقد أن اسمها مشتق من الجنة لوقوعها في منطقة زراعية وفيرة بالخيرات [32].

وهي من أشهر مدن السودان الغربي،اشتهرت بالتجارة لاسيما في تبادل الملح بالذهب فيقول السعدي: "وهي سوق المسلمين وفيها يلتقي أرباب الملح من تغازا وأرباب الذهب من معدن بيط وكلا المعدنين مباركين ما كانت مثلهما في الدنيا كلها فوجد الناس بركتها في التجارة إليها كثيرا وجمعوا من الأموال ما لا يحصيه إلى الله ومن أجل هذه المدينة المباركة يأتي الرفاق من جميع الأفاق" [33].

✓ **الموقع:**

تقع جنوب مدينة تنبكتو على نهر باني رافد النيجر [34]. فتقع في سهل فسيح من المستنقعات [35]يصفها الوزان قرية تشكل شبه جزيرة وذلك لفيضان مصب نهر النيل يقصد مصب نهر السنغال وربما يقصد مصب نهر النيجر الحقيقي الذي يصب في المحيط خليج غينيا يسكنها الملك والأئمة والفقهاء والتجار والأعيان ومساكنهم تشبه الأكواخ مملوطة بالطين ومغطاة بالتبن، ويرتدي سكانها لباسا حسنا وذكر أن من عادة سكانها وضع اللثام من القطن الأزرق ويتميز العلماء بوضع اللثام الأبيض " [36]. لعل عادة ارتداء اللثام نتيجة اختلاطهم بالبربر الطوارق الذين اشتهروا بوضع اللثام.

✓ **نشأتها:**

يذكر السعدي أنها تأسست في أواسط القرن الثاني للهجرة [37]، وتشير رواية تاريخية إلى أن كان تأسيسها بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك أثناء معركة بدر جلب انتباه النبي"ص" أحد المقاتلين المسلمين اسمه شما وروشي، الذي كان يقاتل ببسالة لا مثيل لها، وبعد المعركة استدعاه الرسول "ص" وطلب منه: من أي قرية أنت؟ فأجاب المقاتل. أنا أصلا من نيونا (قرية صغيرة تقع بالقرب

من جني في الجنوب الغربي)، فقال الرسول "ص": ارجع لبلدك وشيد مدينة كبرى التي ستكون تحت الجنة أو فوقها مركزا إسلاميا كبيرا، ويبدو أن جني أخذت اسمها من الجنة كما أشار المقاتل الإفريقي شماوروشي وحرف اسمها إلى جُنةُ وأخيراً إلى جني [38].

وكانت جني في القرن العاشر عبارة عن مكان خصب يرتاده الرعاة بمواشيهم ويقيم فيه قليل من السكان، وتتوسطه قرية صغيرة يسكنها فرع من السونينكي [39].

وفي فترات زمنية متواترة كانت جني نقطة التقاء القوافل التجارية وطلبة العلوم الإسلامية [40]، و أحسن سكان المدينة استقبال العلماء المسلمين الوافدين إليها في القرن الثالث عشر [41].

وفي نهاية القرن الثاني عشر اسلم ملكهم، اسمه كنبر(ويذكره كعت باسم جنكي وهو كنبر [42] حسب رواية السعدي بإسلامه اسلم أهلها ، وعندما عزم الدخول إلى الإسلام أمر بحشر العلماء، فحصل منهم أربعة آلاف ومائتان عالما فأسلم على أيديهم وأمرهم أن يدعو الله تعالى بثلاث دعوات لمدينته تلك وهي : أن كل من هرب إليها من وطنه ضيقا وعسيرا أن يبدلها الله له سعة ويسرا حتى ينسى وطنه ذلك، وأن يعمرها بغير أهلها أكثر من أهلها أو أن يسلب الصبر من الواردين إليها للتجارة في ذات أيدهم لكن يملوا منها فيبعونها لأهلها بناقص الثمن فيربحونها، فقرئوا الفاتحة على هذه الدعوات الثلاث فكانت مقبولة" [43].

وبعد إسلامه خرب دار السلطنة وأقام في مكانها مسجدا للصلاة [44]، وقد بني أول مسجد بجنّي بناء على تصميم أحد المغاربة يدعى معلوم الإدريسي، وكان معاصر للساحلي، ويعتقد أنه أحد مساعديه، ويقوم مسجد جنّي الحالي على أطلال المسجد الذي بناه معلوم الإدريسي [45].

وصفها السعدي وقال:" مدينة عظيمة ميمونة أي الطيبة والسعيدة والمباركة، ذات سعة وبركة ورحمة ومن طباع أهلها التراحم والتعاطف والمواساة، كذلك المنافسة على الدنيا من أخلاقهم جدا بحيث إذا زادت لأحد جاه بينهم، أجمعوا على بغضه، وهي سوق عظيمة من أسواق المسلمين " [46].

وفي منتصف القرن الثاني عشر ميلادي أصبحت مدينة جني من حيث الأهمية التجارية تحتل المركز الثالث في السودان الغربي كله وذلك بعد كل من تمبكتو وغاو، أما في الميدان الثقافي فقد كانت تحتل الدرجة الثانية في الأهمية بعد تمبكتو [47].

يذكر الوزان أن هذه المملكة كانت في القديم خاضعة لأسرة من أصل ليبي، لكن في عهد الملك سني علي أصبح صاحب هذه المملكة خاضعا له وفي عهد فترة حكم الأساقي صار يحكم جني أحد نواب الاسقيا [48].

وفي مطلع القرن السابع عشر دخلت تحت الحكم المغربي صلحا ,كانت تدفع كل عام إتاوات ضخمة [49].

أشهر علمائها في عهد الاساقي نجد مور مغ يصفه السعدي:" فقيها عالما صالحا ساهم في نشر العلم" ومنهم الفقيه محمد ساقوا الو نكري عالما عابدا صالحا سكن جني أواخر القرن التاسع" [50] أي الفترة ما بين القرن الرابع عشر والخامس عشر ميلادي، أما القضاة فمن بينهم محمد فودي سانو ومحمود بغيغ وعمر تُرفُ باشروا القضاء في فترة الاسقيا الحاج محمد [51] أي النصف الأول من القرن السادس عشر. وأجزل الاساقي العطاء للعلماء قدموا لهم الهدايا وتبركوا بهم وساهموا معهم في بناء المساجد [52].

وإلى جانب هذه المراكز الكبرى توجد مراكز أخرى صغيرة ولا تختلف الحياة فيها عن المدن الكبرى، كذلك تستمد نشاطها من المدن الكبرى نذكر منها:

تكدا

ثالثا / تكدا :

رسم اسم تكدا في عدة أنماط ضبطها أبن بطوطة تَكْدّا بفتح التاء المعلوة والكاف المعقودة والدال المهمل مع تشديده [53]، أما العمري يرسمها تكرا [54]، أما القلقشندي فرسمها نكوا [55]،

- ✓ **الموقع**

تقع تكدا إلى الجنوب الغربي من مدينة تنبكتو بحوالي أربعمائة وخمسين كلم. [56]

- ✓ **الحياة الاقتصادية:**

تكدا من المراكز التجارية المهمة في السودان الغربي، عرفت بتجارة الملح والنحاس ،حيث تحدث ابن بطوطة عن غناها بالنحاس حتى أن ماءها يتغير لونه وطعمه لكونه يجري على معادن النحاس، "وماؤها يجري على معادن النحاس، فيتغير لونه وطعمه بذلك" [57] فضلا عن أنها منطقة لاستخراج النحاس و سبكه و صناعة القضبان منه تحدث ابن بطوطة عن ذلك وقال: "ومعدن النحاس بخارج تكدا يحفرون عليه في الأرض ويأتون إلى البلد فيسبكونه في دورهم ويفعل ذلك عبيدهم وخدمهم ،فإذا سبكوه نحاس أحمر صنعوا منه قضبانا من طول شبر ونصف بعضها رقاق وبعضها غلاظ " حيث يدخل في صناعة العملة ويستبدل بثلث وزنه ذهب خالص، فكر العمري:" فيباع وزن مثقال ثلثي وزنه من الذهب " [58] يتضح ذلك في قول ابن بطوطة:".. وتباع الرقاق بحساب ستمائة وسبعمائة بمثقال وهي صرفهم

يشترون برقاقها اللحم والحطب ويشترون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح" [59] ويتم تداوله في باقي المدن السودانية.

وتحدث القلقشندي عن وجود النحاس والملح بها أيضا:" وبهذا البلد أيضا معدن النحاس.... وبهذا البلد أيضا معدن الملح" [60].

كما أسهمت تكدا باستيراد البضائع من دول المشرق كمصر، كما يجلب منها العبيد والجواري، وصف ذلك ابن بطوطة: "ولا شغل لأهل تكدا غير التجارة يسافرون كل عام إلى مصر ويجلبون من كل ما بها من حسان الثياب وسواها ولأهلها رفاهية وسعة مال ويتفاخرون بكثرة العبيد والخدم ...ومن هذه البلاد أي تكدا، يؤتى بالجواري الحسان والفتيان والثياب المجسدة ويحمل منها إلى المدن السودانية ومدن المغرب العربي وسواها [61].

جسدت تكدا حلقة وصل بين مدن دول المشرق العربي ومدن الغرب العربي.

رابعا / ولاته:

✓ **التسمية:**

على غرار المدن السودنية نجد رسم ولاتة بعدة أنماط فرسمها السعدي "بيرو" [62]، ورسمها ابن بطوطة،"أيولاتن"[63].

✓ **الموقع:**

تقع في شمال السودان الغربي [64]، وغرب مدينة تمبكتو، وتبعد عن المحيط الأطلسي حوالي"900كم [65]، فهي بذلك في الشمال الغربي من تمبكتو.

✓ **تأسيسها:**

لا يوجد في المصادر والدراسات التاريخية تاريخ محددة لتأسيسها لكن أشار السعدي بأنها قديمة وكانت مزدهرة قبل تنبكتو وأن تنبكتو تأسست على أنقاض "بيرُ" ولاته،"...وكان التسوق قبل في بيرُ وإليه يرد الرفاق من الأفاق وسكن فيها الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل قبيلة لاسيما من مصر ووجل(اوجلة) وفزان وغدامس وتوات ودرعه و تفلالة، والسوس، والبيط فلما بنيت تمبكتو انتقل الجميع إليها وتحولت لها جميع الطرق التجارية.ثم انتقل الجميع إلى تمبكتو

فكانت عمارة تمبكتو خراب بيرُ"[66] وربما تكون قد تأسست في القرن الأول الهجري [67]. ضعفت الحركة التجارية بها بعد سقوط إمبراطورية غانا وقيام مملكة مالي التي ضمتها إلى حدودها [68].

✓ الحياة الاجتماعية والثقافية:

وصف أبن بطوطة "إيولاتن" أو ولاته بعد أن وصلها في غرة شهر ربيع الأول بعد شهرين من سجلماسة وذكر بأن بها بيوتا ومساجدا «والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زادا ولا أداما ولا دينارا ولا درهما إنما يحمل قطع الملح وحلي الزجاج الذي يسميه الناس النظم وبعض السلع العطرية وأكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكى وتاسرغنت وهو بخورهم [69].

زار ابن بطوطة ولاته في القرن الرابع عشر وكانت إقامته فيها خمسين يوما ويقول بأن أهلها كرماء، ومسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن، وأنها منطقة شديدة الحر، وهندام سكانها حسان مصرية، ما يشير إلى تواصل حضاري وتبادل تجاري بين مصر ولاتة، وأن أغلب سكانها من قبائل مسوفة [70]، ولنسائها الجمال الفائق وهن أعظم شأنا من الرجال، يرث الرجل أبن أخته ولا ينسب أحدهم إلى أبيه وينسب لخاله [71].

وقد عاين ابن بطوطة وجود بعض العادات الغريبة بالنسبة لسكان ولاتة واستنكرها إذ يقول: «والنساء هناك لهم أصدقاء والأصحاب من الرجال الأجانب وكذلك للرجال صواحب من النساء الأجنبيات ويدخل أحدهم داره فيجد امرأته ومعها صاحبها فلا ينكر ذلك" ولاحظ ابن بطوطة هذه الظاهرة حتى بين علية القوم والمثقفين ويقول بصدد ذلك : "دخلت يوما على القاضي "بإوالاتن " بعد إذنه في الدخول فوجدته عنده امرأة صغيرة السن بديعة الحسن فلما رأيتها ارتبكت وأردت الرجوع فضحكت مني ولم يدركها الخجل وقال لي القاضي لم ترجع إنها صاحبتي، فعجبت من شأنهما فإنه من الفقهاء والحجاج، أخبرت أنه استأذن السلطان في الحج في ذلك العام مع صاحبته لا أدري أهي هذه أم لا فلم يأذن له [72]".

وعندما زارها ليون الإفريقي في القرن الخامس عشر أعتبرها مملكة صغيرة خاملة بالنسبة لسائر ممالك السودان، تركها التجار شيئا فشيئا منذ عهد سني علي الذي كان رجلا عظيما وذهبوا إلى تنبكتو وكاغو، بحيث أن أمير ولاتة أصبح فقيرا لا سلطة له عليها، ويؤدي الأمير الذي يحكمها الخراج إلى تمبكتو [73]. ولغة سكانها السنغاي، ونمط معيشة أهل ولاتة وعادتهم كنمط وعادات جيرانهم القاطنين بالصحراء وتحدث الوزان عن عدم وجود تنظيم متحضر فلا حاشية ولا قضاة ويعيش

القوم في البؤس الشديد" [74]. فكانت محطة من محطات القوافل التجارية، بين مدن السودان الغربي وحلقة وصل بين مدن دول المغرب العربي ومصر ودول المشرق العربي.

الخاتمة:

ترتبط الحضارة بالحضر والعمران فالحضارة علامة على الحضور والإقامة والاستقرار، فإذا سكن الناس واستقروا نشأت بينهم صلات اجتماعية أكثر، وارتبطت مصالحهم، ونشأت بينهم سبل التعاون، واتجهوا إلى بناء المدن والإبداع والانتظام والتنظيم، ولعل هذا فيه إشارة لاهتمام النبي - صلى الله عليه وسلم- بتسمية (يثرب) باسم (المدينة)، بما يتضمنه لفظ المدينة من قيم اجتماعية وحضارية.

نشأت المدن أي الحواضر الإسلامية في غرب إفريقيا على أكتاف القبائل، وكان للتجارة دورا كبيرا في انتشار الثقافة العربية الإسلامية، وربط الصلات بين الشرق الإسلامي ودول المغرب، وكانت في بدايتها متأثرة بالمشرق الإسلامي وبلاد المغرب العربي.

حققت تلك المراكز نجاحا مهما بربط الفكر الإسلامي بالحضارات الإفريقية وظهر تأثيره في جميع الجوانب الاقتصادية والسياسة والاجتماعية والثقافية.

وقد حرص ملوك ممالك السودان الغربي على إخضاع تلك المدن وضمها في مملكة واحدة حيث تشكلت حكومات وطنية وعرف هذا الجزء من قارة إفريقيا الدول المنظمة. كما عملوا على إرساء نهضة ثقافية إسلامية مزدهرة في بلادهم.

الهوامش والإحالات:

1. محمود كعت بن المتوكل كعت الكرمني التنبكتي، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس،ب اريس، طبع هوداس ودولافوس،1964،ص18، **ينظر أيضا**: عبدا لرحمان بن عبدالله السعدي، تاريخ السودان، طبعه هوداس،باريس،1981،ص7.أيضا: أبي عبدالله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي،بيروت، دار الغرب الإسلامي،ط1981،1 ،ص29.
2. محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص45
3. أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، تعليق: السيد محمد صادق بحر العلوم، تاريخ اليعقوبي، بغداد، المكتبة الحيدرية ومطبعتها النجف،1964، ج1، ص168.
4. الإمام أبي الحسن أبن على المسعودي، مراجعة: حسن مرغني، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، المكتبة العصرية،2005، ط1، ج2، ص5.
5. العمري شهاب الدين أحمد بن فضل، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: حمزة أحمد عباس، أبو ظبي المجمع الثقافي، السفر الرابع،2002م،109،

6. رحلة أبن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تقديم وتحقيق: الشيخ محمد عبد المنعم العريان، بيروت، دار إحياء العلوم، ج1، ج2، ص693.
7. الشريف الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، صححه ونشره، هنري بيريس، الجزائر، 1957، ص10
8. نفسه، ص11.
9. المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن،1906م، ط2، ص106.
10. فالتر هنتس، تر: كامل العلي، المكاييل والأوزان والمقاييس الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، عمان،1970، ص ص 94- 95.
11. لشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، القاهرة، المطبعة الأميرية،1915، ج5، ص285.
12. حسن ابن الوزان محمد الفاسي، تر: محمد حجي، ومحمد الأخضر، وصف إفريقيا، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي،1983م، ج2، ص169.
13. عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، مصدر سابق، ص4.
14. محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص45.
15. أحمد القلقشندي، مصدر سابق، ص285.
16. إبن بطوطة، مصدر سابق، ص695
17. حسن ابن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص169.
18. حسن ابن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص169.
19. باسل دافيدسون، تر: نبيل بدر وسعد زغلول، مراجعة: محمود شرقي الكيال، إفريقيا القديمة، القاهرة، د ت، ص49.
20. السعدي، تاريخ السودان، مصدر سابق، ص3.
21. نور الدين شعباني، "مملكة سنغاي في عهد عائلة زا(ديا)"، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة نواكشوط كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مج. 2016، ع. 11، ص ص. 50- 64.
22. السعدي، تاريخ السودان، مصدر سابق، ص3.
23. محمد أمين، "علاقتي دولتي مالي وسنغاي بمصر في عصر سلاطين المماليك1250م- 1517م،" مجلة دراسات إفريقية، العدد4، ص276.
24. السعدي، مصدر سابق، ص7.ينظر أيضا: القلقشندي، مصدر سابق، ص294.
25. أحمد عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر زمن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، بيروت، دار الفكر،2000، ج6، 267.القلقشندي، مصدر سابق، ص294.
26. أحمد القلقشندي، مصدر سابق، ص294.
27. السعدي، مصدر سابق، ص7.
28. محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص150.
29. عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسقيين، الجزائر، ص109.
30. نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص- ص76- 78.
31. حسن ابن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص162.
32. حسن مجدي صالح، «جني من المملكة الوثنية إلى السلطنة الإسلامية »، أوراق المؤتمر: الكتاب الحادي العاشر،26-27نوفبر 2006، ص433.

33. السعدي، مصدر سابق، ص- ص- 11- 12.
34. نفسه، ص162 ينظر أيضا: نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مرجع سابق، ص78
35. نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مرجع سابق، ص78
36. حسن ابن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص163.
37. السعدي، مصدر سابق، ص12.
38. عمار هلال، "التعليم في السنغال خلال العهد الفرنسي،1854م- 1918م"، رسالة لنيل الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، معهد العلوم الاجتماعية، دائرة الدراسات التاريخية الأثار، تحت إشراف، عبد القادر زباديه، سنة1980م، ص13.
39. زبادية، مملكة السنغاي، مرجع سابق، ص106.
40. Delafosse (Maurice) : Haut-Sénégal Niger,Tom 1,paris,EMl LE LAROSE, LIBRAIRE-EDITEUR,1912 ,p276.
41. نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص78.
42. كعت، الفتاش، مصدر سابق، ص50.
43. السعدي، مصدر سابق، ص- ص- 13- 12.
44. السعدي، مصدر سابق، ص13.
45. Delafosse (Maurice) : Haut-Sénégal Niger,Tom 1,paris,EMl LE LAROSE, LIBRAIRE-EDITEUR,1912 ,p280
46. السعدي، مصدر سابق، ص12- 11.
47. زبادية، مملكة السنغاي، مرجع سابق، ص106.
48. حسن ابن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص164.
49. نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص78.
50. السعدي، مصدر سابق، ص17.
51. السعدي، مصدر سابق، ص ص19- 20.
52. نفسه، ص39.
53. رحلة أبن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مصدر سابق، ج1أج2، ص710.
54. العمري شهاب الدين أحمد بن فضل، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: حمزة أحمد عباس، أبو ظبي المجمع الثقافي، السفر الرابع،2002م، ص126
55. القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق،291.
56. الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، ط1، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية،1999، ص310.
57. رحلة أبن بطوطة، مصدر سابق، ص710.
58. العمري، مصدر سابق، ص126.
59. رحلة أبن بطوطة، مصدر سابق، ص711.
60. القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق،291.
61. رحلة أبن بطوطة، مصدر سابق، ص ص710- 711.
62. السعدي، مصدر سابق، ص66.

63. رحلة أبن بطوطة، مصدر سابق، ص688.
64. يقول ابن بطوطة وهي أول مدن عمالة السودان. ينظر: رحلة أبن بطوطة، مصدر سابق، ص689.
65. حسن ابن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص161.
66. السعدي، مصدر سابق، ص21.
67. الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،1987، ص68.
68. أبن بطوطة، مصدر سابق، ص692.
69. نفسه، ص، ص_289- 692.
70. المسوفة قبائل متنقلة من أهم أعمالهم قيادة القوافل التجارية وحمايتها ويذكر أنهم شاركوا في حكم البلاد .ينظر: حسن ابن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص161.
71. أبن بطوطة، مصدر سابق، ص690.
72. نفسه، ص691.
73. حسن ابن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص162.
74. نفسه، ص162.